

أضواء البيان

@ 213 @ لذاك . .

كما قال تعالى { وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ الذِّكَاكِحِ حَتَّى يَبْدُلُ الْوَكُتَابُ أَجَلَهُ } وهذا كله لا يتأتى إلا بالإحصاء . .
والإحصاء لا يكون إلا لمقدر معلوم ، وعليه فقوله تعالى : { قَدْ جَعَلَ اللَّيْلُ لِلْكُلِّ شِدْءًا وَقَدْرًا } مؤكد لهذا كله ، وكذلك فيه نص صريح أنه تعالى قد جعل لكل شيء من الأشياء أياً كان هو قدراً لا يتعداه لا بزيادة ولا بنقص ، ولفظ شيء أعم العمومات . .
وقد جاءت آيات كثيرة دالة على هذا العموم عامة وخاصة ، فمن الآيات العامة قوله تعالى :
{ إِنْ زَلَّ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقِنَاهُ بِقَدَرٍ } . .
وقوله : { وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا } . .
وقوله : { وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } . .
وقد جمع العام والخاص قوله : { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُ لَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ } . .
ومن التقدير الخاص في مخصص قوله : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا السَّيْلُ سَابِقُ الذِّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } . .
إنها قدرة باهرة وحكمة بالغة ، وإرادة فاهرة ، وسلطة غالبية ، قدرة من أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . .
وقد قال علماء الهيئة : أن حساب مسير هذه الأفلاك في منازلها أدق ما يكون من مآت أجزاء الثانية ، ولو اختلف جزء من الثانية لاختل نظام العالم ولما صلت على وجه الأرض حياة ، ونحن نشاهد حركة الليل والنهار ونقصانهما وزيادتهما وفصول السنة كما قال تعالى :
{ وَاللَّيْلُ يُقَدِّرُ السَّيْلَ وَالذِّهَارُ عَلِمَ أَلَسَّ تَحْمُوهُ } . .
وهو سبحانه وتعالى يحصيه ، وكذلك التقدير لوجود الإنسان قبل وبعد وجوده ، قال تعالى :
{ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ } أي قدر خلقه
وصورته ونوعه كما بين ذلك بقوله : { يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً } . إلى قوله :
{ إِنْ زَنَّهُ عَالِمٌ قَدِيرٌ } . .

وهذا أيضاً من آيات قدرته يرد بها سبحانه على من جحد وجوده وكفر بالبعث